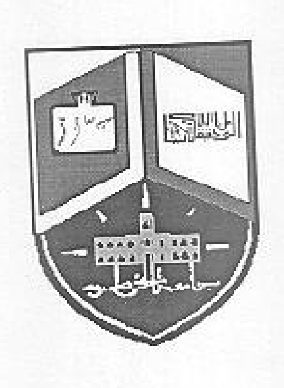
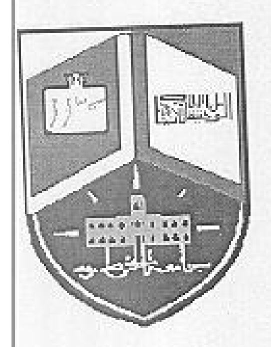






جامعة الخرطوم

كليـــــة الآداب

قسم التاريخ

بحث تكميلي لنيل درجة البكلاريوس بعنوان :

تـــاريخ مدينة الخـــرطوم

خلال فترة الحكم التركي المصري

من ١٨٢١- ١٨٨٤

إعداد الطالبة:

هدية نور الدين حاج عمر

إشراف الدكتورة:

أمل سليمان بادي

٢٠١٢م

الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا)

سورة طه

الآية (١١٤)

الإهداء

إلى من تحت قدميها الجنة إلي...

[أمي الغالية]

إلى كل من كابد من أجل حتى وصلنا إليه...

[والدي العزيز]

إلى أخواني وأخواتي إلى كل الأهل والأصدقاء

أهدي بحثي هذا

الشكر وعرفان

الشكر لله سبحانه وتعالي دوماً فهو المستعان

المذلل للصعاب مهما كبرت..

نتقدم بوافر الشكر إلي الدكتورة/ **أمل سليمان بادي**

التي أشرفت علي هذا البحث وبذلت فيه الكثير من الجهد والوقت

مما كان له عظيم الأثر في إخراجه بهذه الصورة

كما نخص بالشكر كل من ساعدنا

حتى وصلنا هذه المرحلة

الفهرس

المبحث الأول

تاريخ الخرطوم النشأة والتطور:

تقع مدينة الخرطوم علي الضفة اليسري للنيل الأزرق ممتدة من نقطة التقائه بالنيل الأبيض إلي الشرق حتى الجريف وتسعه إلي الجنوب حتى الضفة اليمني للنيل الأبيض، وهي في شكل مثلث رأسه عند التقاء النيلين وقاعدته إلي الشرق مستقرة علي النيلين الأبيض والأزرق وموضعها عند خط عرض ١٥٣٦ شاملاً وخط طول ٣٢٣٢ شرقاً، وعلي ارتفاع ١٣٥٢ قدماً فوق سطح البحر، وتكون مدينة الخرطوم وحدة إدارية واحدة يتبع كلها بلدية الخرطوم، أما ما يقع ورائها فيتبع ريفي الخرطوم بحري. وقد أضيف إليها حديثاً امتداد الصحافة والشجرة والعزوزاب والجريف وغيرها وعلي الضفة اليسري للنيل والنيل الكبير تقع مدينة أم درمان ممتدة شمالاً وجنوباً وهي العاصمة التي أقامها الأنصار عوضاً عن الخرطوم وقد اعتبرت العاصمة الوطنية في العد الثنائي وابتعلت بعض المواضع الجديدة كحلة حمد وحلة خوجلي وقصر راسخ وربما تمتد في المستقبل حتى تبلغ الحلفايا والكدرو وتعد مدينة الخرطوم بحري المركز الصناعي الأول للقطر. والمدن الثلاث الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري متصلة بعدد من الكباري وشبكة قوية من المواصلات ولكل منها مجلس بلدي خاص وهي مجتمعة تعرف بالعاصمة المثلثة ويمكن تسميتها بالخرطوم الكبرى وقد جاء مولدها علي أساس ارتباط هذه الأقاليم تجارياً وإدارياً[1].

يرجع الفضل في تأسيس مدينة الخرطوم إلي خورشيد باشا يناير ١٨٢٦، أبريل ١٨٣٨م وكان علي خورشيد قبل أن يشمر ساعده لتأسيس العاصمة أن يسمح عن سكان البلاد ما خلفه فيهم من حكم الدفتردار وعثمان بك من آثار عنيفة

[1] محمد إبراهيم أبو سليم، القاهرة، ١١ يوليو ١٩٧٠م، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

وقد مضي خورشيد السنوات الأربع الأولي من حكمه في العمل لبلوغ هذا الأمر وفرق الخطابات أي سائر الجهات بالأمان وكان من وسائل خورشيد في ذلك سماحه لكبارهم عن الضرائب المفروضة علي أراضيهم الزراعية ولم يكن بالخرطوم أكثر من ثلاثين منزلاً من اللبن أي جوار باقي المساكن التي كانت من القش.

وقد بدأ في بناء الخرطوم عندما شرع خورشيد في إقامة الجامع أواخر ١٨٢٩ ومنذئذ شرع أهل البلد في العمارة وحفره أنما بمدهم بالألواح والأخشاب وأمر بإزالة بيوت الشكاب والقطاطي والزرائب فقد أسهم خلو السهل الذي نقوم عليه من مواد لبناء فيما أصاب عمارتها من جمود في تلك الفترة الأمر الذي دفع خورشيد إلي إصدار أوامره إلي الشيخ عبد السلام في حلة كوك بحفر الأجر من بقايا مدينة سوبا القديمة ونقلة بالمراكب إلي الخرطوم واستعان خورشيد بطوب سوبا في إقامة مباني المديرية الواقع غرب السراي مباشرة وكذلك الجامع وقد أضفي ذلك علي تلك المنطقة تدريجياً اسم حي المباني الحكومية وعند الطرف الغربي من ذلك الحي قامت منازل موظفي الإدارة، عرفت تلك المنطقة بعد عهد خورشيد بمحل موسي بك وإلي الغرب من المحل كان العمل جارياً في بناء الجامع وحوله قام السوق وهذا هو سوق الدكاكين وهكذا ظهرت المنطقة الممتدة من حي المباني الحكومية شرقاً إلي السوق غرباً بمثابة القلب للمدينة وهي المنطقة التي بدأ فيها العمران بالخرطوم[١].

اهتم خورشيد اهتماماً كبيراً بأعمار الخرطوم لدرجة أن أحد الذين زاروها في تلك الفترة وهو اللورد برودو الذي وصلها في مارس ١٨٢٩م وكتب عنها يقول الخرطوم تقع علي النيل الأزرق علي بعد ميلين من التقائه بالنيل الأبيض، وقد نشأت كمدينة خلال الأربع أو خمس سنوات الأخيرة وفيما مقر المدير

[١] أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص١٠٦.

(السنجق) في منزل مناسب مبني من الطين وحوله حوالي ثلاثين منزلاً أيضاً من الطين أما مساكنها فأكواخ من الخشب والقصب وفيها سوق من حوالي عشرين حانوتاً تباع فيه الغلال واللبن والسكر بأسعار مرتفعة وبه بعض البضائع المستوردة قادمة من القاهرة عبر رحلة شاقة والبعض الآخر مستورد من الهند.

اهتم خورشيد بإعمار المدينة أو الخرطوم كعاصمة وكان يسافر منها في غزوات حتى جبال فازوغلي ويعود محملاً بالغنائم التي يرسلها للباشا في مصر بعد أن يعود للعاصمة يلتفت للعمران وأمر ببناء قشلاق للجنود عام ١٨٣٠م من الطوب أيضاً وكانوا يحصلون علي الطوب من خرائب سوبا. وكان والي مصر يتابع نشاط الوالي باهتمام وتعاطف معه فرفع درجته إلي بك وقبل اقتراحه في عام ١٨٣٣م بأن تصبح الخرطوم عاصمة لكل إقليم السودان وأن تكون لكل المديريات الأخرى تابعة لها وأصدر أمره بذلك ويعنه مديراً لإقليم السودان الذي يتصل بآخر المديريات الأخرى دنقلا بربرة كردفان[١].

اختلف الناس حول أصل اسم الخرطوم ساقوا عدة تفسيرات منها ما يبدو معقولاً حتى يظنه المرء عين الصواب ومنها ما يبدو سخيفاً يود المرء يستوجب ذكر قرانيت واسبيك المكتشفات لمنابع النيل أن الاسم المأخوذ من القرطم وهو نبات تكثر زراعته في مصر وكان يستعمل زيته في الإضاءة وقال بعض الطرفاء أنه في الأصل خور التوم حرف إلي الخرطوم. وذهب آخرون إلي أن اللفظ يعني في لغة الشلك وبعض قال لغة الدينكا قد اطلقوا هذا الاسم علي المكان تجمع عنده العيون والأنهر وقالوا أن الشلك أو الدينكا قد أطلقوا هذا الاسم علي المكان لأن النيل الأبيض والأزرق يلتقيان فيه يكون النيل الكبير ويجد هذا الرأي حماساً عظيماً عند بعض أبناء الجنوب لما يظنون أن أجدادهم كانوا يتوطنون هذه الديار حتى انحسروا جنوباً تحت ضغط القبائل العربية وهذا وهم وخيال. ويقول محمد

---

[١] نفس المرجع السابق.

إبراهيم أبو سليم كنت في مقال نشرته في مجله الخرطوم قد رجعت باللفظ إلي أصل نوبي وكان رائي هذا يقوم علي قرب الوضع إلي عاصمة المملكة النوبية العليا مما يعطي احتمالاً لوجود اسم عرف به في ذلك الزمان وهو احتمالا الخرطوم وجود قرية بهذا الاسم في النوبة السفلي فقد ذكر الرحالة المشهور بركهارت في رحلاته قرية بهذا الاسم في النوبة المصرية علي مقربة من كلايشه وقد تواتر القول بأن العرب أطلقوا هذا الاسم علي المكان لأطرفه يمتد في شكل شريط يشبه خرطوم الفيل حتى يلتقي النيلان الأبيض والأزرق فقد وجدت في وثيقة من وثائق الفونج ذكرا لموضوع يقال له خرطوم البشاقرة وهو يعني أن لفظ الخرطوم أو الخرتوم يطلق علي لسان الأرض الذي يمتد داخل الماء كما هو الحال بآخر الطرف الغربي للخرطوم وعلي ذلك فإن للوضع اسمان أحدهما يأخر أصله عن هذه الصفة إلي امتداد الأرض بين النهرين في شكل لسان وهو الخرطوم بينما يأخذ الثاني عن صفة التقاء النهرين وهو المقرن وهذا الثاني أقرب إلي اللسان العربي (خرتوم) وتوثق المصادر نشأة الخرطوم كقرية بعد عبور ولي من أولياء المحس[١].

العواصم القديمة في إقليم الخرطوم:

لعل أقدم مدينة في إقليم الخرطوم هي تلك التي اكتشف أثرها سنة ١٩٢٩م في المنطقة الواقعة غرب بحري وجنوب محطة المياه كذلك اكتشف حياة قديمة في منطقة الشجرة عند حفر ميناء الري المصري، ووجدت كنيسة متهدمة في توتي ووجدت آثار عمران قديم في عدد من المواضع بأمدرمان وعلي بعد عشرين كيلومتراً جنوب مدينة الخرطوم كانت تقع مدينة سوبا القديمة عاصمة مملكة النوبة المسيحية العليا أو مملكة علوة واشتهرت سوبا القديمة من القرن السادس عشر وكانت عامرة بالمباني الجميلة والكنائس المسيحية والمعابد التي بنيت علي نبته

[١] محمد إبراهيم أبو سليم، القاهرة، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة.

والنقعة وكانت كنيسة سوبا تتبع كنيسة الأندلسية لأن النوبة كانوا علي مذهب اليعاقبة كأقباط مصر، وذكر بعض المؤرخين أنه كان بسوبا عدة مئات من الكنائس وإنشاء علي مقربه من الشاطئ الجنوبي للنهر خلوة لتدريس طلاب العلم وكانت هي النواة التي قامت عليها قرية الخرطوم وعند مجيء الأتراك اتخذوا من الخرطوم عاصمة لهم عوضاً[1] عن سنار وذلك لأسباب جغرافية فالخرطوم أقرب إلي وسط السودان من سنار ولأسباب بيئية فمنطقة سنار كانت مملوءة بالملاريا ولأسباب سياسية وهي إزالة كل الرموز الدالة علي السلطنة الزرقاء، وقد أثار ادوارد بارون فون كالو إلي أهمية الموقع لتقاطع طرق القوافل مما دعاه إلي اقتراح إنشاء مدينة تجارية بالموقع. بدأ العمران التاريخي للخرطوم فأصبحت تنمو كمدينة تجارية بالموقع واستمرت كذلك طوال فترة حكمهم للسودان حتى قيام دولة المهدية التي هدمت كل ما شيده الأتراك وأول خبر يصادفنا عن منطقة الخرطوم في العهد التركي هو نزول إسماعيل باشا في أمدرمان ولما خلف عثمان بك الدفتردار وصادر مديراً ونزل بالخرطوم وقابله الشيوخ هنالك وقد بني للشيوخ معسكر لجيشه وترك فيه حامية بداية مدينة الخرطوم الجديدة ولما مات عثمان بك خلفه محو بك مدير بربر وقد نزل في حلة حمد. الخرطوم بحري الآن وعسكر بها مدة من الزمن وعاد إلي بربر حزيت الخرطوم في عهد محو بك خطوات واسعة نحو العمران وقد أطلق اسم محو بك علي منطقة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم وصارت تعرف بشجرة محو بك أوشجرة الماحي أحياناً. ثم جاء خورشيد باشا وبدأ المدينة حسب رواية المبارك إبراهيم في سنة ١٨٢٤م عندما اتخذها الأتراك مقراً لحكمهم الرئيسي عوضا عن سنار التي تتفشي فيها الملاريا والدسنتاريا كما أورد نفس المصدر أن ميلاد المدينة بدأ بإقامة الأتراك لمعسكر دائم لهم جنوب قرية الخرطوم سنة ١٨٢٢م ثم توسع المعسكر وتوسعت معه المدينة حتى صارت

[1] المبارك إبراهيم، تاريخ مدينة الخرطوم، ١٩٤٠م.

عاصمة سنة ١٨٣٠ ومن هذه الروايات ما ذكر أن تأسيس المدينة كانت علي يد عثمان جركس البرنجي ما بين عام ١٨٢٠-١٨٢٣م واختلف المؤرخون عن بداية تاريخ الخرطوم نذكر المبارك إبراهيم أن ميلاد المدينة كان في سنة ١٨٢٤ وقال أن المصريين قد أبقوا علي سنار عاصمة لقربها من جبال شنقول حيث كانوا يأملون أن يجدوا فيها كميات وافره من الذهب وقال آخر أن تأسيسها كان ما بين ١٨٢٠-١٨٢٢م وأن هذا التأسيس مهد لفتح كردفان، وقال برج أن تأسيسها كان ما بين ١٨٢٠-١٨٢٣م وثم جاء بعد هذا التأسيس عثمان بك الذي عين حاكماً علي السودان في سنة ١٨٢٥م جعل من الخرطوم المنشأة حديثاً مركزاً لقيادته وقال آخر أن الدفتردار هو الذي اختار اسم الموضع وهذا يعني أن التاريخ يرجع إلي سنة ١٨٢٣م وقال عبد الله حسين أنها أصبحت معسكراً للجيش في سنة ١٨٢٣م ثم أصبحت مقراً لحكمدار السودان خورشيد باشا وعاصمة للسودان سنة ١٨٣٠م وقال محمد صبري أن معسكر دائما للجيش قد أقيم فيها وفي ٢٣ وأن خورشيد اتخذها عاصمة سنة ١٨٣٠م وأن الخرطوم مرت بعدد من المراحل الأولي كانت أحراشاً وغابات وفي المرحلة الثانية بني لها عثمان جركس عاصمة لكل السودان أراضي الخرطوم العليا كانت عبارة عن أحراش وغابات أما السفلي فهي عبارة عن جروف يزرعها أهالي توتي وجاء اسم يري من هذه الصفة إلي البحر بالنسبة للجزيرة وكان صيادو السمك يرتادون المنطقة[1].

[1] احمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني

السكان:

اختلف المؤرخون في تقرير عدد سكان مدينة الخرطوم في أواخر العهد التركي فمنهم من قدرهم بخمسين ألف نسمة ومنهم من قدرهم بمائة ألف نسمة حتى أن هناك من ادعي أن تعداد السكان بلغ ٢٥٠ ألف نسمة[٢١]. علماً بأن عد سكان المدينة في بداية ذلك العهد لم يتعد الستمائة بجانب جند الحكومة حتى آخر عهد محو بك ١٨٢٥-١٨٢٦م إذ يورد د. أحمد أحمد سيد أحمد في هذا الشأن أن سكان المدينة من المدنيين كانوا ستمائة فقط سنة ١٨٢٧م. ثم ارتفع العدد في عهد خورشيد إلي خمسة عشر ألفاً.

تتكون الخريطة السكانية لمدينة الخرطوم في عهد الحكم التركي المصري من خليط من الأجناس ولكن هناك مجموعات ثلاث تشكل هذا الخليط وهي الجالية الشرقية والجالية الأوروبية والأهالي. وتمثل الجالية الشرقية السواد الأعظم من سكان المدينة، وتكونت في غالبها من المصريين الأقماح خاصة من جهة أسنا وأسوان ثم الشوام من سوريين ولبنانيين بجانب أعداد مقدرة من الأقباط. أما المجموعة الثانية هم الأقباط فكانوا محتكرين لأعمال الدولة الحسابية تقريباً بجانب اشتغالهم في التجارة. أما المجموعة الثالثة من سكان الخرطوم فهم الأهالي، وقد كانت غالبيتهم في بادئ الأمر من مواطني الأقاليم القريبة من الخرطوم. ووفدت إلي المدينة مع مرور الزمن جماعات كبيرة من الجعليين والشايقية والدناقلة بجانب أعداد مقدرة من نوبة الجبال ومن القبائل النيلية ويعمل جلهم في المهن الوضيعة ذات الدخول المتدنية، كما أن أعداداً كبيرة منهم كانوا عسكراً في الجيش التركي (الباشبوزق والجهادية).

---

[١] محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، ١٩٩١م.

[٢] سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، ١٩٦٦م.

كان أوائل الأوربيين الذين وفدوا إلي المدينة يشغلون الوظائف الفنية في الجيش المصري كأطباء ومهندسين ومستوظفين ثم وفد بعد قليل بعض التجار الكبار الذين كانوا يعملون في محيط التجارة المحتكرة للحكومة وفي عهد خورشيد ازداد عدد الفنيين الأوربيين في الجيش المرابط في الخرطوم وكان أغلبهم من الفرنسيين والإيطاليين وقد قدر عدد الأجانب في المدينة في العهد التركي الأخير بنحو ٢٤٥ أسرة. ولم تكن هناك أسر انجليزية وكان اليونانيين منهم يحتكرون أعمال البقالة وتبعاً لتضخم المصالح الأوروبية في السودان افتتحت القنصليات في الخرطوم[١] وأن ازدياد نفوذ الجاليات الأوروبية وقناصلهم في الخرطوم كان امتدادا لنفوذهم الطاغي في مصر والامتيازات الأجنبية التي أرهقت كاهل شعوب الإمبراطورية العثمانية وأهانت غرورهم.

كان للأهالي تقسيمهم الخاص لسكان المدينة إذ يقسمون أنفسهم إلي عرب وزنوج ويقسمون الأجانب إلي ترك ونصاري، فالعرب من الأعالي هم سكان شمال السودان وأما الزنوج فهم سكان الجنوب. أما الأجانب فيطلب الأعالي عليهم ترك إذا كانوا مسلمين وهؤلاء يشملون سائر رعايا الإمبراطورية العثمانية من ترك ومصريين وغيرهم من المسلمين ذوي البشرة البيضاء. ويطلق الأهالي علي الأجانب البيض من غير المسلمين نصارى يشملون الأقباط والأوربيين علي وجه العموم[٢].

ضمت الخرطوم في العقدين الأخيرين عدداً من الوجهاء والأسماء اللامعة في مجتمعها من هؤلاء إبراهيم بك خليل من الأقباط وامتلك الكثير من العقار في حي المسجد، والزبير باشا رحمة وأبوبكر الجاركوك وخالد العمرابي وعلي الخلوصي وكاوسكي الساعاتي الروسي.

---

[١] محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ مدينة الخرطوم، دار الجيل – بيروت.

[٢] أ.د. سعد محمد أحمد سليمان، الخرطوم عبر العقود، ط١، دار السداد، ٢٠٠٦م، ص٣٩٠، الخرطوم – تاريخ.

وسكان الفريق من الجعليين وبخاصة الفتيحاب وكان علي الإدارة أن تسهل إسكانهم بعد أن ظلوا زماناً موضع تعديها أيام الفتح وأثناء رحلة الدفتردار الانتقامية وخاصة بعد أن انتقلت حلة المقرن التي كان يقيم عدد كبير منهم ولقد كان من آثار إقامة الترس أيضا القضاء علي محل أرباب وتفرق سكانه بين حلة المقرن وفريق الترس والمدينة الجديدة.

الصناعات:

من أهم الصناعات التي قامت في القرى المحيطة بالخرطوم كذلك في حي سلامة الباشا وكان سوقها المختار وهو الخرطوم صناعة الأقمشة القطنية الخشنة المعروفة بالدمور وكانت النساء يقمن بصناعتها في البيوت علي أنوال بسيطة بعد غزل خيوط القطن الذي تنتجه الأراضي المطرية بالبلاد وقد حاول إسماعيل أيوب إدخال صناعات القطن الآلية في كسلا والخرطوم ووصلت فعلاً الآلات اللازمة لتلك الصناعات إلي هاتين المدينتين. ومن الصناعات التي قامت في المنطقة الريفية الحيطة بالخرطوم صناعة الحصر التي منها الحصير الخشن المستعمل في الرواكيب والظلالات والحصير الدقيق ذو الألوان العجيبة المستخدم في تغطية الأسرة وصناعة الأوعية الفخارية والأدوات الزراعية ورؤوس الجراب والسكاكين من الجديد والشباك (العنقريبات) أيضاً المصنوعات الجلدية وصناعة عصر بذر السمسم وصناعة الصابون لا تتركز في منطقة معينة بالمدينة وأهم مصنع للصابون كان لشنودة القبطي.

وقد قامت في الخرطوم صناعات جديدة تعتمد علي غلات البلاد منها تنطبيق وتصنيف الصمغ العربي حسب نوعه وحجمه أو حجم قطعه وصناعات

علي بعض الغلات الحيوانية مثل قرون الخرتيت وأنياب الفيل وأسنان فرس البحر وريش النعام[1].

بجانب الشركات والورش التي تمارس أنشطتها الاقتصادية في شارعي الخور والصناعات هنالك أنشطة مشابهة منتشرة كراج أبو العلا وكيل المرسيدس وشركة الكوكاكولا وشركة البيبسي كولا وساتي للحلويات والطحنية ومصنع الثلج ومخازن علي دنقلا ومخازن الصحة والبوستة ومصانع كمير للطحنية والبسكويت والشعيرية. وكانت العصارات "عصارات تقليدية تدار بالجمال" تشغل المنطقة الواقعة جنوب غابة الخرطوم إلي القرب من الاصطبلات. ومن أصحاب العصارات حسن عجاج وحاج محمود وشريكه حاج فقيري وحاج حسن مروي وعبد المحمود وأولاده وعلي حاج خضر علي كمبير[2].

التعليم:

كان السودانيون يعتبرون التعليم مهمة إنسانية يقوم بها من له القدرة والكفاءة بعون ذوي الأريحية مقابل حسن الجزاء في الآخرة. وقامت مدارسهم المنبثة في القرى والتي عرفت بالخلاوي علي هذا الأساس ولم تكن لهذه المدارس برامج ولا رابطة تجمع بينها وكانت شهرة الخلوة تقوم علي شخص الأستاذ ومبلغ علمه وما سعي أن يكون لأجداده من الشهرة والصيت وأن قرية الخرطوم قامت حول إحدى هذه الخلاوي ولما جاء العصر التركي وتحولت القرية إلي مدينة عامرة لم يتغير ذلك من نظر الوطنيين إلي التعليم كثيراً فارتاد أبناؤهم الخلاوي التقليدية واستغنوا عن مدارس الحكومة ومدرسة الإرسالية لما كانوا يرون فيها من الخطر علي أبنائهم.

---

[1] د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[2] أ.د. سعد محمد أحمد سليمان، الخرطوم عبر العقود، النشأة والتطور.

خلوة الشيخ الأمين محمد خوجلي كان بها ١٥٣ من الفقراء وخلوة الشيخ محمد عبد الله خوجلي بالغبش ٥٧ فقيراً وكان أول مسجد أدخل فيه نظام التعليم مسجد الخرطوم.

التجارة:

في عهد خورشيد باشا زادت التجارة وأصبحت هناك أنواع عديدة من العملاء تتداول في الخرطوم واحتكرت الحكومة كل صادرات السودان بما في ذلك الصمغ العربي وريش النعام والعاج الأمر الذي أثار غضب بعض التجار الأوربيين الذين كانوا يسعون للسيطرة علي تجار السودان وظل هذا الاحتكار قائماً حتى أربعينيات القرن التاسع عشر وكان في الخرطوم ثلاثة فئات من التجار آنذاك بجانب الأوروبيين الأتراك والمصريين السودانيين ولكل فئة يعرف باسم سر التجار وبجانب التجار وفد علي الخرطوم من مصر زراع وعمال وحرفيون فكان في المدينة وحولها وفي أنحاء الجزيرة مزارعون مصريون وصناع من بنائين وحدادين ونجارين وعمال دباغة وصياغة وغير ذلك من المهن والحرف.

يقول كاتبي في مجلة السودان في رسائل مدونات أنه في هذه المرحلة أُرسل أربعة من السودانيين ضمن البعثات التي أرسلها وإلي مصر إلي أوروبا للتعليم الحرفي ولكنه لم يعثر علي دليل ديفيد برجوعهم للسودان كما جرت محاولات لإدخال بعض الصناعات في السودان مثل إنشاء معمل لصباغة الأقمشة في الكاملين أو محاولات لصناعة السكر كما استوردت أشجار من أنواع الفاكهة من مصر وزرعت في المنطقة واستفادوا من أخشاب السنط في صناعة المراكب النيلية وأقاموا لهذا الغرض منجرة بالقرب من ود شلعي علي النيل الأبيض وأخرى في الكاملين وثالثة في مديرية بربر، وأدي كل هذا النشاط إلي زيادة إعمار الخرطوم وأضفي عليها أهمية باعتبارها مركز التقاء الطرق النهرية والقوافل البرية.

في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وبدأت معالم الخرطوم العاصمة تتفتح مركز الثقل كان مقر الحكمدارية علي شاطئ النيل وهدم خورشيد باشا مسجد أرباب العقائد الذي كان قد عاد بناءه عام ١٨٢٩م ليعيد بناءه هذه المرة بطريقة أحدث وأوسع يناسب مدينة بدأت تتسع واستعمل في بناءه الطوب الذيجلبه من خرائب سوابا وبني له مئذنه ضخمة ثم بني مستشفي عسكرية علي شاطئ النيل يعج بحركة الأطباء والصيادلة الأوربيين والمصريين وكان شاطئ النيل يعج بحركة المراكب والسقائين الذين يحملون المياه منه لسكان المدينة ولكنه أيضاً كان مرتعاً للتماسيح رصد الناس كثيراً حركة التماسيح في النهر فقد كان لها العديد من الضحايا وكان بينها تمساح كبير أطلقوا عليه لقب شيخ الذي كان كثيراً ما فتك بمرتادي النهر وفي عام ١٨٣٨م غادر خورشيد الخرطوم مستشفياً في القاهرة ولكن بسبب حالته الصحية لم يعد للسودان وعين مكانه أحمد بك أبو أضان حاكماً عاماً للسودان وغادر خورشيد البلاد وهي تعاني من الجفاف وقفت بها علي حافة المجاعة وانعدمت الذرة وارتفعت الأسعار وتزامن مع المجاعة انتشار الكوليرا ولكن خورشيد قبل سفره فتح مخازن غلال الحكومة ووزع الحبوب علي السكان وبعد سفر خورشيد باشا من السودان زار محمد علي السودان وتوقف في الخرطوم وشاهد ما فيها من عمران وصحب في رحلته خبراء في الهندسة والتعدين والملاحة وسافرت البعثة إلي فازغلي بحثاً عن الذهب ولم تسفر مهمتهم عن شيء بينما خطط خبير الملاحة سليم قطبان لفتح مجري النيل الأبيض جنوباً إلي الاستوائية.

ومن التجار بالخرطوم من كان يتخذ من منزله محلاً للتجارة أيضاً الجلابة وهم الوسطاء التجاريون الذين يرحلون بين الخرطوم ومراكز الإنتاج المختلفة في البلاد والعملة المتداولة في سوق الخرطوم بعينها المتداولة في مصر وهي مضروبة في مصر وتركيا والنمسا وانجلترا وأبخس عملة في السوق قيمتها خمس

بارات ثمن القرش وكانت الموازين والمكاييل والمقاييس في السوق وهي مثيلاتها في مصر فكانت وحدة الموازين هي القنطار والأقة والرطل ووحدة المكاييل هي الأردب ووحدة المقاييس هي الزراع، وإذا كان السوق علماً علي الخرطوم الأمر الذي أجرى ألسنه الأهالي بعبارة "إيش معدوم في سوق الخرطوم" فإن علاقات سوق الخرطوم التجارية بخارج البلاد لم تكن مقصورة علي الواردات بل كانت هناك مجال تجارة الصادرات[١].

التجارة في هذه الحاضرة مهمة جداً حتى أنها تعدل وحدها تجارة جميع الأقاليم السودانية. أما مقاديرها في الحبوب فهي أجل من أن تحصر وللخرطوم أهمية كبيرة أو عظيمة في تسفير القوافل والسفن التجارية والشراعية حاملة صنوف التجارة إلي جميع مدن السودان.

---

[١] أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم.

المبحث الثالث

الأحياء والشكل العمراني:

عندما قرر الأتراك اتخاذ الخرطوم مركزاً لقياداتهم بنو دواوين حكمهم ومساكن موظفيهم وثكنات جندهم في موقع السكة حديد الحالي أي إلي الجنوب بحوالي ميل من قرية الخرطوم التي أسسها أرباب العقائد التي كان موقعها في منطقة جامع فاروق الحالي وزاد توسع المدينة في تلك الناحية حيث أنشأ علي خورشيد باشا أواخر عام ١٨٢٩م مسجد الخرطوم القديمة وتزامن مع ذلك تعمير المنطقة التي حول المسجد وذلك بتشجيع من خورشيد باشا حيث قام بمد الأخشاب ومواد البناء للأهالي ونتج عن ذلك عمارة حى المسجد الذي أصبح أرقي أحياء المدينة خاصة الجزء الشرقي منه المواجه لحي الحكمدارية والذي عرف بعد عهد خورشيد بمحل موسي بك وبه منازل الطبقة الراقية من موظفين الإدارة واحتوي حي المسجد علي قصور وجهاء المدينة من تجار وأعيان وأجانب أمثال علي الخلوصي والجاركوك والخواجه جورج تيشادي. من الأسباب التي زادت من أهمية هذا الحي وجود سوق المدينة في الناحية الجنوبية من المسجد تكون هذا السوق من شقين أفرنجي (الدكاكين) وعربي (يعرف بسوق الشمس).

أيضاً حي الحكمدارية الحي الرسمي في الخرطوم في العهد التركي المصري ويقع إلي الشرق من حي المسجد واشتمل علي دواوين الحكومة ومنازل الموظفين وثكنات الجنود ومن أهم معالم هذا الحي بجانب السرايا التي اتخذت سكنا للحكمدار مبني الحمدارية الذي يقع إلي الغرب من السرايا في موقع وزارة المالية الحالية بجانب مباني البوستة (البريد) والمالية في الناحية الشمالية الغربية من المربع في موقع وزارة الأشغال سابقاً ومصلحة المساحة حالياً والتي عمل بها أحمد الحاج أبو علي المشهور بكاتب الشونة وعرفت الترسانة بمنطقة الصناعة

وألحق بالترسانة في عهد إسماعيل أيوب ١٨٧٣-١٨٧٧م مطبعة كانت تسمي بمعمل الورق استخدمت لطباعة مستلزمات الحكومة من المطبوعات.

أما الأحياء الشعبية فكانت تقع في الأطراف من أشهرها وأقدمها حي سلامة الباشا ويقع في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة وجنوب السوق العربي آنذاك وكان معظم سكان هذا الحي من الدناقلة ونوبة الشمال. ونجد إلي الشرق من سلامة الباشا حي النوبة وترجع تسميته إلي أصول ساكنيه الذين وفدوا إلي جبال النوبة وعملوا في الجيش ثم الاستغناء عنهم أيضاً حي الترس سمي بحي الترس لوجود ترس ترابي في الناحية الغربية منه لحماية المدينة من فيضان النيل الأبيض سكن هذا الحي خليط من الأهالي من المحس والجعليين والفتيحاب والمصريين والأقباط أيضا من الأحياء الشعبية حي الكارا الخاص بالعسكر من الجنود السودانيين والمصريين وحي الطوبجية وسكانه من المصريين والأتراك ويقع إلي الجنوب من ثكنات الجنود "حي العرضة" وحي الهبوب ضرباتي الذي يعد من أفقر أحياء المدينة كما نجد حي المراكبية وتأتي التسمية نسبة إلي المهنة التي اشتهر بها سكان هذا الحي وهي مهنة قيادة المراكب والسفن ومعظم السكان من الدناقلة الذين يعملون في التجارة هناك أيضا بري المحس في أقصي شرق المدينة في الموضع الذي تحتله الآن مستشفي العيون وداخليات البركس التابعة لجامعة الخرطوم ونجد في الناحية الجنوبية الغربية من حي سلامة الباشا منطقة عصارات السمسم كما نجد السلخانة في أقصي جنوبي الحي.

الأحياء التي قامت فيها عرفت في أواخر الحكم المصري بقسم الجامع أو الخرطوم وأقدم حي فيها هو محل موسي بك ولذلك يسميه ليجان الخرطوم القديم أو الخرطوم سنة ١٨٣٠م.

وقد سمحت طبيعة السهل الذي قامت عليه المدينة بامتداد المباني من القلب من ناحية الشرق وأقام خورشيد إلي الشرق من السراي المستشفي العسكري وإلي

شرقه بعيداً عن الضفة بقليل بني ثكنة جديدة وبذلك أصبح الجند يقومون حول السراي من الغرب والشرق وإلي شمالها الشرقي مخزن الذخيرة أقامه خورشيد أول الأمر في الشونة وثم نقله إلي خارج المدينة عندما انفجر في أواخر أيامه وتوالي اتساع المدينة وكثر ازدياد عدد الجند في البلاد في آخر عهده.

كان الامتداد نحو الشرق مجهوداً حكومياً. وكانت حركة التعمير علي يد السكان قائمة حول القلب من ناحية الجنوب والغرب ففي الجنوب الشرقي امتدت المباني حتى منطقة المواطي ومعظم سكانها من الدناقلة. نجد أن الخرطوم امتدت من النيل الأزرق في الشمال إلي حلة سلامة الباشا في الجنوب ومن حي العرضي في الشرق إلي فريق الترس في الغرب وأيضاً امتدت إلي جوار النيل طبقاً للخطة المستطيلة ويكمل صورة المدينة قيام رأس كبير من المباني جنوب غرب منطقة المواطي ويحتله حي سلامة الباشا وقد امتدت الخرطوم في آخر عهد خورشيد علي طول الضفة لمسافة قدرها ميل من عمق إلي الداخل قدره ثلاثة أرباع الميل وكانت عماراتها من الطين وجدران منازلها بغير طلاء لندرة الجير في المنطقة وكان السراي من الطين أيضا وتشبه الحصن في عمارتها والبناء الوحيد إلي جانب منزل قائد الحامية الذي كان الزجاج مستعملاً في نوافذها كما وصفت الثكنات والمستشفي بالقذارة وكانت زينة المسجد والسوق وإذا كانت في خرطوم خورشيد امتدت في أواخر عهده إلي الحدود الخارجية فليس معني ذلك أن عمارتها لم يصبها التغير منذ ذلك العهد فقد قامت عدة عوامل رفعت عجلتها إلي الأمام منها السياسية العمرانية للإدارة المصرية في البلاد وشخصية بعض الحكمداريين اللامعين العاملين علي الوصول بالمدينة إلي مستوي المدن الكبيرة والتقدم التجاري الذي كان في تطور كلما تقدمت السنوات بالعهد المصري[1].

[1] احمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٠٦-٢٠٤.

وقد أصاب التغير تلك الحلة بعد عهد خورشيد فإنه إذا كانت مصالح سكانها من الدناقلة بعد أن نزحوا إلي الخرطوم من شندي وبربر وغيرهما من مدن الشمال التجارية. قد ارتبطت بتجارة العاصمة الجديدة فإنه إشباع الحلة قد سار خطوة بخطوة مع إشباع التجارة وسجلت تجارة الخرطوم أعظم تقدم لها مع الجنوب كما أدي نقل الحكمدار غردون فبراير ١٨٧٧-١٨٨٠ دار الصناعة من مكانها غرب الخرطوم إلي شرق السراي بالقرب من الحلة إلي إقامة كثير من عمالها في الحلة.

ولقد أصاب حي العرضي تغيير كبير من الداخل بعد عهد خورشيد في شكل إعادة بناء الثكنات وإنشاء أخرى جديدة كذلك. وأصاب الحي أكثر ما أصاب منذ سنة ١٨٥٠م حيث بدأ امتداده إلي أقصي ناحية الجنوب الغربي وذلك يرجع إلي أن جيش السودان بعد تلك السنة أصبح معظمه من الزنوج وإلي سكني نساء هؤلاء الجنود بجوار الثكنات وقد ترتب أيضا علي التوسع في استخدام الزنوج في الجيش أن ظهر بأقصى جنوب الحي في مواجهة حلة سلامة الباشا قسم كان يعرف بفريق النوبا ويقيم فيه الزنوج المرافيت وهم الذين تركوا خدمة الجيش وفي سنة ١٨٦٥م ابتدأ في الظهور بالعرضي قسم آخر عرف بالطويحية. وقد حافظت حلة سلامة الباشا علي مظهرها العام طوال الحكم المصري وكانت أقل الأحياء تقدماً في العمران وأكثرها من حيث سيطرة عشوائية البناء وتشابك الطرق والمسالك ولاستطالة الحلة وتطرفها ناحية الجنوب قامت في الجهة الجنوبية الغربية منها منطقة عصارات السمسم ومن الطبيعي قيامها في هذا المكان بما يستلزمه من زرائب للجمال التي تديرها وظل محل موسي بك محل سكني الطبقة الراقية من الموظفين والأجانب والترك وقد أصابه الكثير من التعمير والتنظيم بعد عهد خورشيد فأصبحت الطرق أكثر تخطيطاً واستقامة وأبدلت منازل اللبن الأولي فيها بمنازل الآجر المحاطة بالأفنية الخضراء والحدائق الزاهرة التي تستمد ماءها

من الآبار المحفورة بها وكانت تقوم بها بعض القنصليات الأجنبية ودار الإرسالية الكاثوليكية. وفيما بين محل موسي بك من الشرق وفريق الترس من الغرب يقوم قسم الجامع.

الأسواق:

من المعالم الطبوغرافية المهمة السوق: سوق الدكاكين والجامع وبعض المنازل الواسعة لكل الموظفين والتجار وكانت أبرز علامات هذه المدينة السوق الكبير ومئذنة الجامع العالية وسراي حاكم البلاد. وحوالي سنة ١٨٥٥م ظهرت بالمدينة معالم معمارية لم تكن معروفة في البلاد تتضح في إقامة بعض منازل الثراة من طابقان وظهور الشرفات وقيام البوابين علي أبواب تلك المنازل وعلي وجه العموم كانت منازل المدينة المتجاورة تفتقر إلي التناسق من حيث الضخامة والفخامة والدخول للشوارع المقامة فيها. ومنازل الطبقة الممتازة من السكان كبيرة وذات غرف واسعة وسقف مرتفع تنتهية أعشاش العصافير وأحياناً الطيور وأفنية واسعة تشغل الحدائق واجهتها البحرية وتقوم في أطرافها دورات المياه والمطابخ والمخازن[١].

كان الزجاج قليل الاستعمال فيتلك المنازل لغلو ثمنه وصعوبة نقله من مصر كما كان مستعملاً فقط في دار الإرسالية والكاثوليكية في الكنيسة وحجرة واحدة أو حجرتين من بقية الدار والقماش هو بديل الزجاج في غير هذه المنازل.

أما منازل الطبقة الفقيرة من المواطنين أبرز صورة لها في سلامة الباشا فهي مربعة الشكل ذات أفنية ضيقة متربة تحيط بها أسوار منخفضة من الطين تتواري تدريجياً تحت وطأة المطر، أما الغرف ضيقة مظلمة سقوفها منخفضة لا تتعدي محتوياتها في معظم الأحيان أدوات الطبخ ومادة البناء الرئيسية في المدينة

---

[١] سليمان كشه، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، ١٩٦٦م.

الطين وحتى سنة ١٨٨٤م لم يكن يصنع في البلاد إلا اللبن أما الأجر والحجارة فيؤتي بها من بقايا مدينة سوبا والمدن الأخرى واقعة جنوبها والتي ترجع إلي العهد المسيحي واستمر استخدامها في عمارة الخرطوم لأكثر من ثلاثين سنة منذ بدء تأسيس المدينة وبعد سنة ١٨٨٤م قامت قمائن الحرق اللين في القرى المحيطة بالخرطوم في ثمانينات وبري المحس والجريف والحلفايا وكرري وكانت الخرطوم وحدها المستهلكة لإنتاجها.

وقد لعبت المستعمرة الأوروبية دوراً كبيراً في تعريف الأهالي بصناعة الأكبر وقطع الأحجار وحرق الجير ومما أسهمت به الإدارة في الارتفاع بعمارة المدينة سماحه للأوربيين بالتنقيب عن مواد البناء في المنطقة المحيطة بها. وكان من نتيجة ذلك التوصل إلي استخراج الأحجار من تلال أمدرمان علي يد المبعوثين الكاثوليك واستخدامها في البناء منذ حوالي سنة ١٨٥٠م وإذا كان من سمات المدن في السودان تقطيع المناطق الفضاء بين أجزائها المختلفة ويرجع ظهور تلك المناطق إلي العشوائية في إقامة المباني وتأتي مقبرة المدينة في نهايتها الشرقية وكانت مناطق الفضاء علي وجه العموم خالية من الأشجار وتتلبد بالوحل في موسم المطر وتثير الأتربة في فصل الخريف وبالمدينة عدد من مناطق الفضاء جاءت نتيجة لتخطيط الإدارة وهي الميادين وأهمها ميدان المديرية الواقع جنوب السراي مباشرة وميدان الجامع القائم حول الجامع وميدان تدريب الجند الكائن جنوب الثكنة القديمة مباشرة وكانت هذه الطرق تعبر وهي متجهة إلي المدينة منطقة سواقي المحس في خطوط مستقيمة حتى إذا تم ذلك التقت بشارع رئيسي شرقي غربي وهذا الشارع أطول شوارع الخرطوم وأكثرها استقامة واتساعاً وأقدم طرق المشاريع الطريق الممتد من مشروع أرباب ٤٧ وهو أول طريق يدخل

المدينة من ناحية الغرب وطريق سكان الجزيرة توتي إلي جامع أرباب قبل الفتح المصري[1].

يقوم طريق التبيداب ٤٨ إلي شرق الطريق السابق وسمي المشروع بذلك الاسم نسبة لجماعات التبيداب الذين كانت مساكنهم في فريق الترس ومحلاتهم في سوق الخرطوم وكانوا أمهر صياغ الذهب والفضة في البلاد. ويقع طريق مشروع القاضي ٤٩ إلي الشرق من طريق التبيداب ويمثل هذان الطريقان أقصر الطرق التي توصل أهالي توتي إلي سوق الخرطوم والجامع ويقوم طرق مشروع موسي بك ٥٠ إلي الشرق من طريق مشروع القاضي وهو أول طريق شقته الإدارة المصرية في المدينة في عهد خورشيد ويمتد من النيل الأزرق إلي الثكنة القديمة ويقوم مشروع الشونة ٥١ إلي الشرق وهو يوصل بين ضفة النيل وجنوب المدينة في خط مستقيم. وطريق المديرية ٥٢ يمر بين مبني الحمدارية والسراي إلي ميدان المديرية وطريق مشروع المستشفي وهو طريق أهالي بر الحلفاية إلي الخرطوم.

ومن سمات التجارة في السوق أن البضائع المستوردة غالية الثمن ومن نوع رديء في معظم الأحيان وأن المضاربين يستغلون فرصة نضوب معينها من السوق وخاصة في موسم المطر يرفعون الأسعار بدرجة جنونية وتخرج من سوق الشمس أربعة مسالك علي جانبيها رواكيب من فروع الشجر تظللها الحصر والأبراش التي يغير اتجاهها تبعاً لحركة الشمس الظاهرية وهذا السوق المظلل يعرف بسوق البقالة وتباع فيه الأطعمة من الأسماك مطبوخة وغير مطبوخة وزبد ولبن وحلوي ومشروبات منها المرسية والعرقسوس والدهن لتمشيط الشعر. وأهم ما يباع بسوق البقالة بلا شك الخضروات والحبوب واللحوم والفاكهة ومصدرها حدائق المدينة والمنطقة الزراعية الواقعة في زمامها ومن الحبوب في سوق

---

[1] أ.د. سعد محمد أحمد سليمان، س ج، الخرطوم عبر العقود، النشأة والتطور، تاريخ الخرطوم.

الخرطوم الذرة والقمح والشعير والسمسم والذرة أهمها جميعاً لأنه طعام السكان الرئيسي. وتتوافر الألبان في سوق الخرطوم وهي ترد إليه من القرى الجنوبية الغربية من المدينة كما تتوافر فيه الجبن الذي عرف السكان صناعته بعد الفتح المصري.

مما كان يزرع في حدائق الخرطوم الدخان والبطيخ والثمار الأخيرة تينع في الجزر بخاصة جزيرة توتي وهي دواء للسكان في شهور القيظ. وكانت حدائق الخرطوم مسوحاً لدراسة طبيعية الحيوان والطير وهو الأمر الذي كان يهتم به الكثير من الأوروبيين وبخاصة الرحالة منهم من أجل ذلك كانت ميداناً لجمع حيوانات وطيور البيئة المحيطة بالخرطوم.

كان بالخرطوم مزارع كبيرة فيها ليمون وبرتقال وموز وبلح رطب وفجل وذرة وبصل وعجور وسمسم ودخن ومختلف الخضروات وقد سمي جنكر الخرطوم ملكة الفواكهه. من ناحية الأكل كانت الكسرة[1] هي الأساس وكان شكل الكسرة مدوراً وكانت رهيفة ورخيصة وكانت الخرطوم بعيدة عن المجاعة والبؤس بخلاف غيرها من بلاد أفريقية ففي الكنغو مثلا لا نجد سوي صنفين من الأكل.

كان هناك الأقمشة القطنية "حريرية ، صوفية" وكانت هذه تأتي من مصر ومن الشرق ومن أوروبا وكان هناك ملابس وقمصان ومناديل وطرابيش ورز وسكر وبعض الفاكهة كالمشمش والعنب الناشف الزيت زيت زيتون بسكويت ومربي، كحول، شمعات، شمعدانات، وكان هناك صابون وجرادل وأكواب من الجلد، ورق مواعين، كبريت، وأدوات زجاجية، لكنها كانت ذات مستوي متدني، أما الأرقام حول جملة البضائع فيما أن الخدمات الجمركية الشرعية تتصف بعدم الانتظام فإن الثقة في هذه الأرقام التي كانت تقدم للجمهور كانت معدومة.

---

[1] التاريخ الفرنسي.

المناخ:

يسود الخرطوم في معظم أشهر السنة المناخ الصحراوي الحار باستثناء شهري يوليو وأغسطس حيث تسقط الأمطار المدارية الشديدة بمعدل يزيد قليلاً على ١٠٠ ملميتر سنوياً في الفترة من ديسمبر حتى فبراير حيث تنخفض درجة الحرارة نسبياً. وأن الخرطوم واحدة من المدن الرئيسية الأكثر حرارة في العالم. وثمة ظاهرة مناخية في السودان تعرف بالهبوب وهي عبارة عن عاصفة ترابية نشطة تحدث في مناطق وسط السودان بما فيها الخرطوم وذلك عندما تهب رياح جنوبية رطبة في شهري مايو يوليو ويمك أن تقلل مؤقت مدى الرؤية إلي الصفر أنسب وقت لزيارة الخرطوم من حيث المناخ هي الفترة ما بين شهري نوفمبر ومارس.

الخرطوم في عهد دولة المهدية:

فتح المهدي وجيشه مدينة الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥م وقام بمصادر أموال ومصالح الميري (الحكومة) وأموال أعيان المدينة وكبار الموظفين وقصورهم وكانت النتائج من الغنائم جد كثير رغم أن الكثيرين يقولون بأن معظم كنوز المدينة دفنها أصحابها في باطن الأرض وبذلك لم يصل إليها الفاتحون شهد يوم فتح الخرطوم قتل الكثير من أهل المدينة ورغم الأمر الصريح الصادر من المهدي بعدم الاعتداء علي السكان ونجم عن عدم التقييد بهذا الأمر امتلاء شوارع الخرطوم بالقتلي من بين الذين قتلوا الشيخ محمد حتيك قاضي القضاة والشيخ موسي مفتي المحاكم الشرعية والشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الأميرية والمدرس بجامع المدينة ثم أسر العديد من القادة منهم فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت وقد حوكما بالإعدام فيما بعد ومن الذين أسروا أيضاً إبراهيم باشا فوزي محافظ الخرطوم وحسن بك البهنساوي وإبراهيم البردنيت.

أما بالنسبة لنساء المدينة فقط أصدر المهدي أمر منع بموجبة الأنصار من الزواج بحرائر الخرطوم ورد كل من لها زوج إلي زوجها وكل من لها ولي أمر إلي وليها وأصدر أمراً آخر بتوقيع عقوبات صارمة علي من يعتدي علي حرائر الخرطوم وحصر الذين نجو من القتل من أهالي الخرطوم في الناحية الجنوبية من المدينة وعين خالد العمرابي مسئولا عنهم بعيد انجلاء معركة الخرطوم خصصت قصور الدولة والأعيان في حي المسجد لكبار الأنصار فنزل المهدي بقصر الجاركوك ونزل الخليفة عبد الله في السرايا وترك الخليفة شريف في مبني الكنيسة الكاثوليكية بينما ترك القائد أبو قرجة في مبني المديرية.

قام المهدي بتعيين بعض من أنصاره ليتولي شئون المصالح الأميرية والبساتين التي كانت موجودة في الخرطوم مثل الترسانة ومعمل البارود ومعمل الورق تبرياتها الجديدة لفترة قصيرة إذ جاء أمر الخليفة في مايو ١٨٨٥م بإخلاء المدينة وانتقال سكانها إلي أم درمان مع الإبقاء علي منازل الخرطوم دون هدمها وتم إكراه الأهالي علي الانتقال إلي أمدرمان ولم يبق فيها إلا قلة غفل عنهم الأنصار ورغم هذا الأمر الواضح بدأ هدم وتخريب منازل وأسواق الخرطوم تحت بصر وسمح الأنصار وتم نقل جل مواد هذه المنازل لتعمير مدينة أمدرمان وكل هذا أدي إلي خراب الخرطوم حتى بدت بعد فترة وجيزة من فتحها أطلالاً ينعق فيها اليوم وانطوت بذلك حقبة من حقبها بكل ما فيها من إشراقات وظلمات.

محمد أحمد المهدي فتح الخرطوم في عام ١٨٨٥م عاشت الخرطوم فترة تاريخية عصيبة منذ بداية الثورة المهدية باعتبارها مقر حكم الغزاة وكان من المتوقع أن تزحف إليها قوات المهدي في أي وقت بعد أن حققت انتصارات باهرة علي القوات التركية في مختلفة مدن السودان وآخرها كان الانتصار الكبير علي الجنرال الانجليزي وليان هكس باشا في سنة ١٨٨٣ في واقعة شيكان القريبة من مدينة الأبيض حيث طلب بالمهدي من أحد أنصاره في منطقة الخرطوم وهو

الشيخ محمد الطيب البصير بمحاصرة المدينة وأرسل إليه قوات مساندة بقيادة الأمير أبو قرجة وبوصول مدد آخر من القواد يقوده الأمير عبد الله والنجومي وتمكن الأنصار من إحكام حصارهم للخرطوم وضاقت الحلقة حولها بوصول المهدي بنفسه والذي عسكر بجيشه في منطقة الحلقة حولها بوصول المهدي نفسه والذي عسكر في منطقة أبو سعد بأمدرمان سنة ١٨٨٤م قبل أن يدخلها منتصراً في ٢٦ يناير ١٨٨٥م وتقول المصادر البريطانية أن الخرطوم تعرضت لدمار كبير من قبل قوات الدوارسين الفاتحة والتي تمكنت من دك حصون الأتراك ووقع غردون باشا صريعاً في قصره المطل علي النيل الأزرق إلا أن المصادر المهدية تؤكد بأن خليفة المهدي عبد الله التعايشي أمر بعدم تخريب الخرطوم وعدم نقل مواد البناء منها إلي أمدرمان وأن المهدي قد غضب شديداً عندما لم يقتل غردون علي يد قواته لأنه كان يريد القبض عليه حياً وأسره.

أقام كبار أنصار المهدي من أمراء وقادة في قصور الدولة وبيوت الأعيان حي المسجد بينما أقام المهدي في قصر يسمي بقصر الجاركوك وكان قريباً من المسجد وسكن الخليفة عبد الهوا لتعايشي في سراي الحكمدار ولم تستمر إقامة قادة المهدي طويلاً في الخرطوم حيث انتقلوا إلي أمدرمان واتخذوها مقراً جديداً للحكم في السودان ١٨٨٥م.

المصادر والمراجع:

١. محمد إبراهيم أبو سليم، القاهرة، ١١ يوليو ١٩٧٠م، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

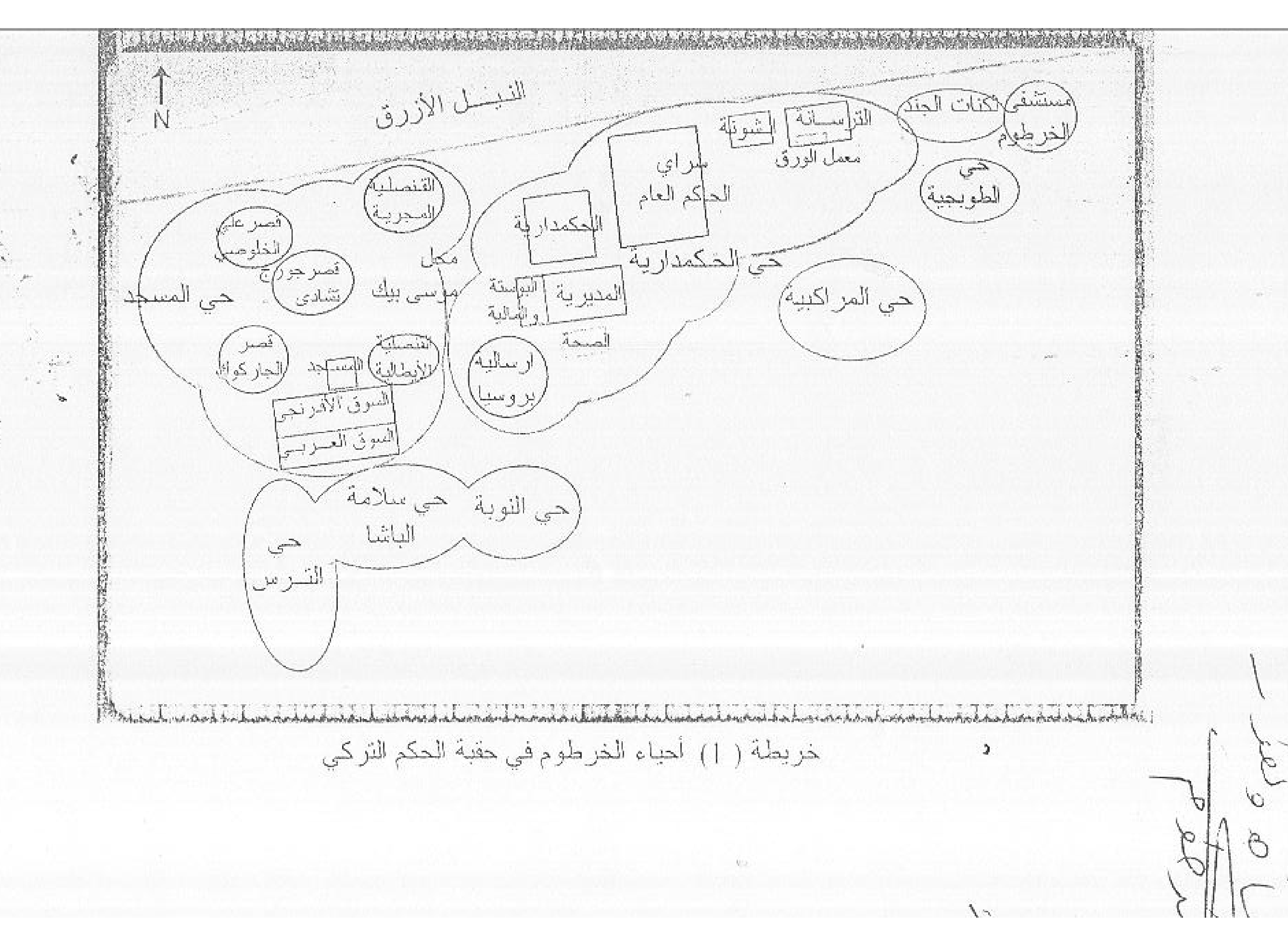
٢. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

٣. محمد إبراهيم أبو سليم، القاهرة، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة.

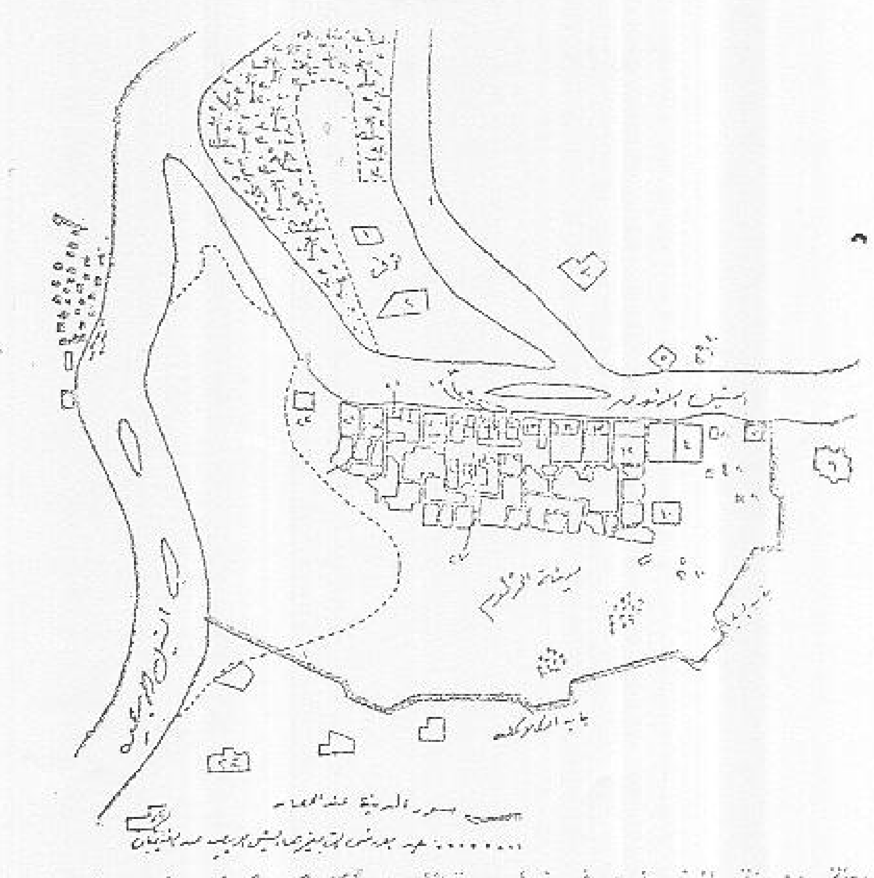
٤. المبارك إبراهيم، تاريخ مدينة الخرطوم، ١٩٤٠م.

٥. سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، ١٩٦٦م.

٦. أ.د. سعد محمد أحمد سليمان، الخرطوم عبر العقود، ط١، دار السداد، ٢٠٠٦م، ص٣٩٠، الخرطوم – تاريخ.



خريطة (١) أحياء الخرطوم في حقبة الحكم التركي



خريطة مدينة الخرطوم في نهاية العهد التركي كما رواها سلاطين

١ ـ مخزن البارود
٢ ـ حلة توتي
٣ ـ قبة الشيخ خوجلي
٤ ـ طابية الشرق
٥ ـ قصر راسيخ
٦ ـ حلة برى
٧ ـ طابية برى
٨ ـ مستشفى الخرطوم
٩ ـ مخازن سلاح
١٠ ـ مصنع خرطوش ومهمات عسكرية
١١ ـ الشلالات
١٢ ـ الترسانة
١٣ ـ الشونة
١٤ ـ المراكب
١٥ ـ قصر الحكمدارية
١٦ ـ القنصلية النمسوية
١٧ ـ البوستة والمالية
١٨ ـ المديرية
١٩ ـ الصحة
٢٠ ـ الكنيسة الكاثوليكية
٢١ ـ كنيسة الاقباط
٢٢ ـ حدائق
٢٣ ـ طابية المقرن
٢٤ ـ حلة الكلاكلة
٢٥ ـ حلة شجرة محو بك
٢٦ ـ القنصلية الفرنسية
٢٧ ـ القنصلية الايطالية

الخرطوم في أواخر حقبة الحكم التركي المصري

N

النيل الأزرق

شارع النيل (كتشنر)

قطاع مصالح الحكومة وبيوت الموظفين

سراي الحاكم العام

شارع الخديوي (غردون)

شارع البردار

شارع عباس

ميدان عباس

شارع السلطان

شارع محمد علي باشا

شارع فكتوريا

شارع الدفتردار

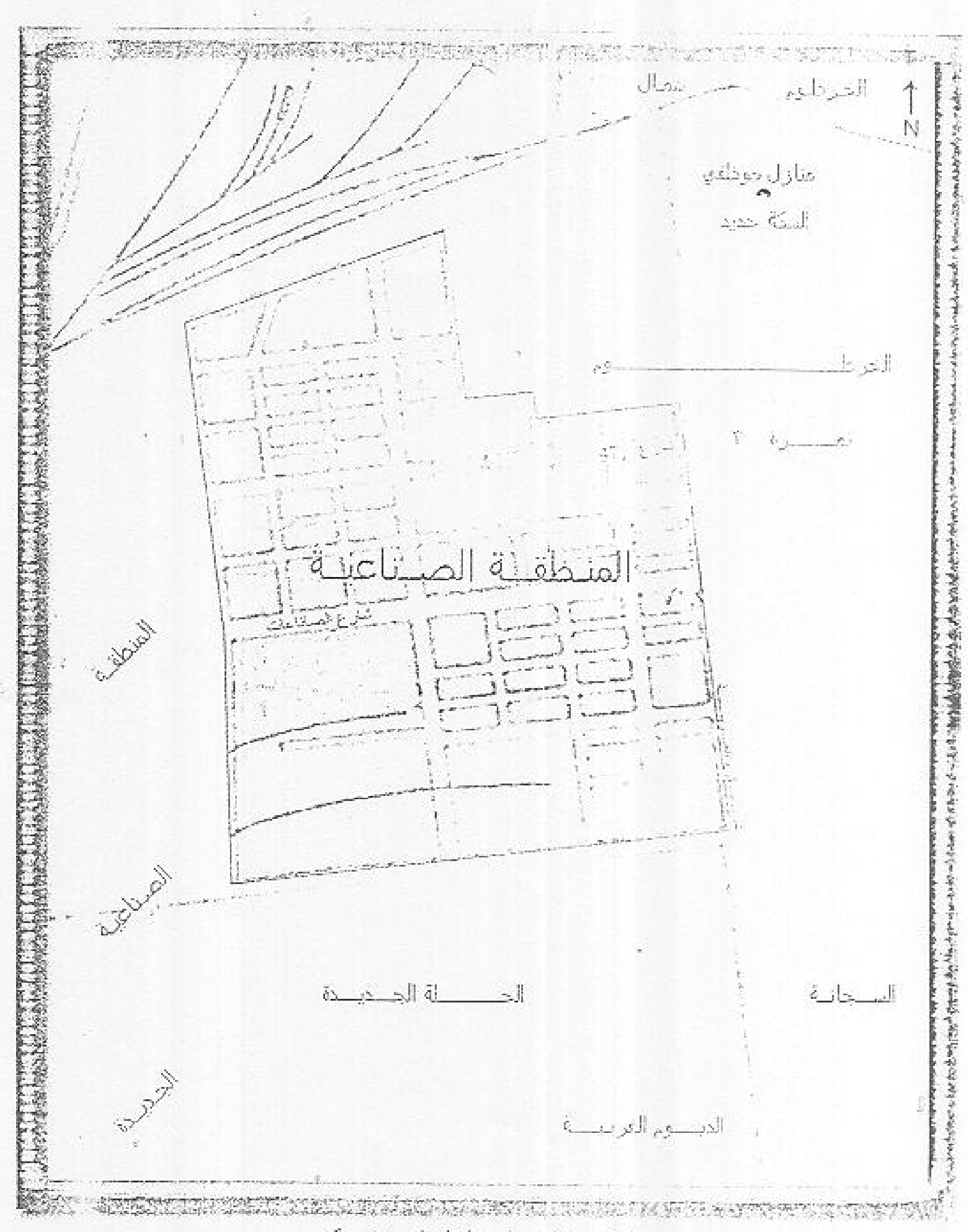
الحي الانجليزي

القطاع التجاري

القطاع السكني

السوق

خريطة (2) مخطط الخرطوم



خريطة (11) المنطقة الصناعية